

روح المعاني

ثاني المثلين وهو كذلك في بعض مصاحف الامام وقوله تعالى : فسوف يأتي انا جواب من الشرطية الواقعة مبتدأ واختلف في خبرها فقليل : مجموع الشرط والجزاء وقيل : الجزاء فقط فعلى الأول لا يحتاج الجزاء وحده إلى ضمير يربطه وعلى الثاني يحتاج اليه وهو هنا مقدر أي فسوف يأتي انا تعالى مكانهم بعد إهلاكهم بقوم يحبهم محبة تليق بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده ويحبونه أي يميلون اليه جل شأنه ميلا صادقا فيطيعونه في امتثال أوامره واجتناب مناهيه وهو معطوف على يحبونه وجوز أن يكون حالا من الضمير المنصوب فيه أي وهم يحبونه وفي الكشف محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة انا تعالى لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المنفصلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها انا تعالى وفي مراقصهم عطلها انا تعالى بأبيات الغزل المقولة في المرد إن الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم النى أين منها صعقة موسى عليه السلام ثم دك الطور فتعالى انا عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة انتهى كلامه .

وقد خلط فيه الغث والسمين فأطلق القول بالقدح الفاحش في المتصوفة ونسب اليهم ما لا يعبأ بمرتكبه ولا يعد في البهائم فضلا عن خواص البشر ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم بل وزيادة أضعاف أضغاف مما نعلمه من هذه الطائفة في زماننا مما ينافي حال المسمين به حقيقة أن نؤاخذ الصالح بالطالح ونضرب رأس البعض بالبعض فلا تزر وازرة وزر أخرى .

وتحقيق هذا المقام على ما ذكره ابن المنير في الاتصاف أن لاشك أن تفسير محبة العبد انا تعالى بطاعته له سبحانه على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز لا يعدل اليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرهما فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لننظر أهى ثابتة للعبد متعلقة بانا تعالى أم لا فالمحبة لغة الميل المتصف بها إلى أمر ملذ والذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحسن كلذة الذوق في المطعوم ولذة النظر في الصور المستحسنة إلى غير ذلك وإلى لذة مدركة بالعقل كلذة الجاه والرياسة

والعلوم وما يجرى مجراها فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة مالا يدركه إلا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة برياسة الإنسان على أهل قرية ك لذته بالرياسة على أقاليم معتبرة وإذا تفاوت البواعث فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات وليس معلوم أكمل ولأجل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة من معرفته ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد لربه سبحانه ممكنة بل واقعة من كل مؤمن فهي من لوازم الايمان وشروطه الناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد $\square$ D بمعناها الحقيقية لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها ألا ترى الى الأعرابي الذي سأل عن الساعة فقال النبي